هذه ذكريات قصة حقيقية أو مأساة عاشتها السيدة "ساتوسكو ماريا توري" منذ عشرات السنين.

قصة هيروشيما، المدينة ذات الوجوه الثلاثة، ورحلة انتقالها من وجه إلى آخر.

في البداية كانت هيروشيما مركزاً مهماً للعمل الحربي بكل مستلزماته، ثم وجدت نفسها ضحية، وأصبحت "المدينة الشهيدة". الآن هيروشيما باتت منارة للسلام.

منذ زمن بعيد يربو على الستين عاماً، كانت هيروشيما مدينة نضرة مزهرة وعامرة. وكان دورها خلال الحرب العالمية هو العمل للشؤون الحربية، وكان التواجد العسكري فيها يقارب 40% من عدد السكان، أي نصف سكانها جنود ومحاربين. وكان هذا التواجد في جنوب المدينة عند المرفأ حيث العدد الكبير للجنود، وحيث توجد الذخائر والمواد الحربية المصدرة لاستعمالها في العمليات الحربية "الصينية – اليابانية" التي دامت ثلاثين سنة.

وبالانتصارات المتكررة وإحتلال الجيش الياباني للصين، أحسّ اليابانيون بالنصر القريب وجعل الغرور يملؤهم والحميّة الوطنية تكبر فيهم. وإذا بالحرب العالمية تتسع في المحيط الهادىء وتبدّل مصير الجنود اليابانيين، خصوصاً بعد معركة الميدواي التي غيّرت مجرى الحرب. وبذلك بدأ اليابانيون يعيدون النظر في قوتهم ومقدرتهم الحربية التي تراجعت وضعفت. وإنتهى هذا الوضع بمعركة مدمرة حامية الوطيس على جزيرة أوكيناوا التي إحتلها الجيش الاميركي بعدما تغلب على الجيش الياباني. وهكذا انتهت هذه الهدنة بمعركة حامية الوطيس للدفاع عن أرض الوطن في جزيرة أوكيناوا.

في العام 1945، تحملت أكبر المدن اليابانية تفجيرات وكوارث حربية متواصلة من الطيران الاميركي. والعجيب أنه طوال هذه الفترة حُيدت هيروشيما من أي طلعة لطيران عدو فوقها، حتى نهار 6 آب 1945 الذي كان يوماً مشؤوماً، إذا بجندي مختل، من الطيران الاميركي "ب29" يدعى "إينولاغاي" يقوم بطلعة فوق هيروشيما، ويلقي عليها بقنبلة ذرية واحدة -"القنبلة النووية"- غيرت وجه تاريخ مدينة وعدها قدرها بهذه الكارثة: أكثر من 000 200 قتيل و000 300 ألف جريح أو متفجر أو متأثر بالاشعاع النووي، كارثة لا يتحملها خيال.

في الدراسة الميدانية لهذا الانفجار كانت الحرارة في النقطة التي وقعت فيها القنبلة، نقطة الصفر، تتعدى 3000 الى 4000 درجة. كما أن قوة الدفع الناتج عن ضغط هواء هذا الانفجار الرهيب كان 300 متر في الثانية. وعندما نعلم أن 1500 درجة حرارية كافية لتذويب الحديد، وأن من المستحيل الوقوف في وجه إعصار رياح بقوة 50 متر

في الثانية، نستطيع أن نكوّن فكرة عن تأثير هذا الانفجار حيث في شعاع قطره 3 كلم إنفجرت الأبنية وأصبحت دماراً وخراباً في ثوان.

في هذه الفترة، كنت في الرابعة عشر من عمري طالبة في المدرسة، ولأن الغالبية من الرجال والشبان كانوا في ذلك الوقت في الجبهة يؤدون خدمة الوطن، فُقدت اليد العاملة في المدينة. فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الوضع أن تقفل المدرسة لكي نكون نحن الفتيات عاملات متطوعات في مصانع الاسلحة وفي تصنيع الذخائر. كل هذا في سبيل مساعدة الجيش.

في هذا اليوم بالتحديد، كان معمل الاسلحة مغلقاً وكنت مع أمي في المنزل، أتناول فطوري عندما فوجئت بوميض شديد الإبهار، سمي بعدئذ "بيكا" لم يدم سوى ثلث ثانية، كما حددها العلماء. ثم سمعت صوت انفجار عنيف سمي "دون" باليابانية، وهكذا سميت هذه الحالة "بيكادون" وعرفت هكذا. بعد ذلك أشعلت الحرارة الرهيبة لهذا الانفجار المخيف كل إنسان كان في الشارع.

وفي لحظات انتهى كل شيء وأبيد. بهذه السرعة وبعد هذا الوميض والاشتعال والانفجار الاصم إذا بمنزلنا، الذي كان يبعد 7,1 كلم عن مكان سقوط االقنبلة، يهوي وينهار كأنما مرت عليه هزة أرضية عنيفة. ووجدت نفسي أطير في الهواء وبسرعة جنونية وألقى على الأرض المليئة بالغبار والنار تجعلني أحس بالاختناق. واختفت الأشياء أمام ناظري وغابت الرؤية وأحسست بالموت يحيط بي ويشد الوثاق عليّ. وانتظرت الموت، ولكن الرغبة في الحياة جعلتني أبذل المحاولات للدفاع عن نفسي. وبما أن منزلنا مكون من طابق واحد خشبي، نجحت في الخروج من بين الدمار وإقتلاع جسدي من بين الردم والهدم. ونظرت الى نفسي فإذا بي مغطاة بالثياب الممزقة والدماء تغطيني من رأسي الى أخمص قدميّ بفعل الجراح التي تسببت بها قطع الزجاج المتناثر من جرّاء الانفجار. ونظرت من حولي فرأيت البيوت التي تتألف من عدة طوابق قد إنهارت على رؤوس سكانها وقضت عليهم ومن حولي أصوات الاستغاثة تملأ أذني: " النجدة.. النجدة". من ينجد من؟ وكلنا بحاجة الى النجدة، وليس هناك من مجيب.

من قرأ االقصة المصورة التي ألفها "هاداشي نوغن" "عن حافي القدمين" قصة الانفجار العنيف مصورة يستطيع أن يتصور الرؤيا الحقيقة لتلك المناظر الرهيبة التي رأيتها رؤيا العين، وعشتها بكل أعصابي وأحاسيسي. كثيرون ممن حوصروا بدمار منازلهم ينادون ويطلبون المساعدة، ولكن تتلاشى أصواتهم بعد أن أخذتهم نيران الحدائق المتواصلة بفعل الانفجارات. والذين نجوا من الموت باتوا جرحى بشكل خطير ولا أحد يستطيع المساعدة، كل ما كان بالإمكان فعله هو الهروب الى البعيد البعيد قدر المستطاع..... وكنت أنا وأمي من بين الذين هربوا الى البعيد. إجتمعنا كلنا في قطعة

أرض واسعة كانت تستعمل كحديقة عامة، فأصبحت ملجأ ومخبأ للناجين الباقين على قيد الحياة. نظرت من حولي فوجدت الجميع ثيابهم ممزقة ملأى بالدم والغبار وشعرهم واقف فوق رؤوسهم.

بعد مرور سنين على هذا اليوم المشؤوم، طلب من بعض سكان هيروشيما من الذين نجوا وبقوا على قيد الحياة أن يرسموا من الذاكرة بعض المناظر التي في خيالهم لهذه التجربة المخيفة التي مروا بها لكي يقام معرضاً لرسوماتهم في المدينة. وكانت الصدمة لدى رؤية هذه الرسوم. صدمة تحولت الى صمت عميق أطبق عليّ لدى مشاهدتي لصور أعادت لي الذكرى. وجوه منفوخة جراء الحرائق كأنها أقنعة غريبة الشكل، وأيادٍ ليس لها لون بجلود ممزقة، وآخرون يحملون أحشائهم من بطونهم المتفجرة خوفاً من أن تقع على الارض. قسم آخر أعينهم خارجة من مآقيها ومحاجرها، وصورة لأمّ تحتضن ولدها الذي قطعت أذناه وهي تبكي وتنوح وتردّد "مسكين يا ولدي". جلود المصابين كأنها قطع قماش ممزقة أيديهم جامدة ويتحركون كأنهم جثث خارجة من الأجداث. مناظر تقشعرّ لها الأبدان وتكاد الأفئدة تتوقف عن الخفقان لهذه المناظر المؤلمة.

لنعود إلى قصتنا:
أخذ الناس يتخبطون هائمون على وجوههم دون هدف فقدوا القدرة على التفكير. يسيرون في كل إتجاه وهم يهربون من الخوف وكأنهم يشعرون أنهم لو وقفوا سيكون الخوف أكبر. ضائعون حتى تكل أرجلهم عن المسير، والحرائق تسير في المدينة وتنتشر بسرعة هائلة، ولا يستطيع أحد إيقافها حتى رجال الإطفاء إذ أن أغلبهم أصبحوا أمواتاً أو مصابين. وهكذا أصبحت هيروشيما بحراً من النار وانتشر الظلام وأدلهمّ الليل، ليلٌ مليء بالدخان والغبار.

وإنتشر الظلام .....

وفجأة هطل المطر!! مطر عجيب غريب: نقاط ماء كبيرة ضخمة وثقيلة مضمخة بالغبار والنار، وقطع صغيرة من الردم ومن الزجاج والحديد، ورائحة بعضها البارود وسائل النفط إختلطت كلها ببعض وشكلت هذا المطر العجيب. (وقد فسر العلماء هذه الظاهرة بأن هذا الخليط إرتفع من الارض إرتفاعاً كافياً ليحتك برطوبة الجو ويتحول الى مطر). إبتهجنا جميعاً بهذا المطر وظننا أنه سيبرد أجسادنا من حرارة الحريق بالرغم من سواده وسخونته. ولكن إمتلاء هذا المطر بالاشعاعات جعل أجسادنا ترتجف بفعل الحرارة الشديدة التي تتحول الى قشعريرة برد تهزنا من الأعماق. وشعرنا بالبرد بالرغم من الحرارة الخانقة لفصل الصيف. ومرت علينا تلك الليلة في العراء تحت ضوء النجوم وعندما أتى الصباح وجدنا أغلب المصابين بالاصابات الخطرة وقد قضوا ولم يستيقظوا.

وبدأنا رحلة البحث عن والدي في أنحاء المدينة وبعد جهد علمنا أنه كان يعمل في معمل قريب لنقطة الصفر، وقد قضي عليه مباشرة وقت الإنفجار.

ومع هذا ظل الامل بوجوده حياً يجعلنا نسأل المارين إن كانوا قد صادفوه أو رأوه ولكن عبثاً. وفي خلال البحث أحسست بنفسي أنني أجر رجلي سحباً من الالم ولا أستطيع نقلها واكتشفت وجود قطعة من الزجاج بداخلها، وسمعنا ورأينا كثيراً من المصابين عند مفصل الموت يرجون ويبتهلون ويطلبون الماء يشكون من العطش وليس من الالم ثم تسكت تدريجياً الشكوى بموت المصابين. لم يكن عطشهم جسدياً بل عطش روحي. مثلهم كمثل سيدنا عيسى المسيح عليه السلام على طريق الجلجلة حاملاً الصليب وهو يطلب الماء ولا من مجيب والتقت في خيالي معاناتهم مع معاناة المسيح صاحب الصليب وصبره على الألم دون شكوى حتى النهاية.

قررنا إحراق الجثث. جمعنا الاغصان اليابسة والاوراق الجافة، وضعناها فوق جبل من الجثث وسقيناها بالنفط، جثث أطفال ورجال ونساء قد اتحدت أجسادهم مع النار ولم يبق منها بعد قليل إلاّ عظام نخرة.

تكرر هذا المشهد في كل أنحاء هيروشيما بحيث أصبحت هذه المدينة مقبرة كبيرة.

كيف تلاشى الناس عند الانفجار؟ قبل حدوث هذه الكارثة معظم الشباب في المدينة تحضروا وعملوا على حماية الابنية من الاشتعال كانت الاساليب مدروسة لعمل خطوط محاربة الحرائق ومنعها من الانتشار، وتأمين طرق للهروب وفوجئ العمال المتواجدين في الهواء الطلق في المساحات المكشوفة التي لا تعطي أي حماية للاشخاص من تأثير اشعاعات القنبلة النووية.

بين هذه البيوت التي اختفت بفعل القنبلة كان قد زرع الجنود شتل البطاطا وبمعجزة من الله نمت هذه الشتول وكبرت بسرعة بفعل الانفجاروبدأ الجوعى يتغذون على الجذور الموجودة في الارض.

وبعد عدة أسابيع بدأ الاشخاص الذيم لم يصابوا ولم يعانوا من جروح جسدية، وكانوا يبدون بصحة جيدة، يعانون من نزيف دم من أنوفهم ومن إسهال معوي شديد وبدأ شعرهم بالتساقط وكل هذا كان نتيجة الاشعاعات.فإن القنبلة الذرية لم تدمر فقط الابنية وإنما وزعت إشعاعاتها المميتة القاتلة في كل أنحاء المدينة. على سبيل المثال كان هناك طفل لا يستطيع النوم بسبب آلامه وأمه تسهر الى جانبه وعندما أحست بالتعب أخذت تطلب من إبنها أن ينام ولو قليلاً لكي تنام هي وترتاح فيبدأ الولد بالبكاء ويصرخ ويقول: لا أريد هذا المرض، أنا لست مسؤولاً، أعيدوا لي صحتي، أريد أن أعيش!! مظلوماً مات هذا الولد وهو في السادسة من العمر. في تلك الفترة أيضاً عدة فتيات أسميناهن "عذارى القنبلة (أ)" كنّ يعانين من حروق فظيعة من وجوههن ويعشن حياة

وحدة وعزلة، إحدى تلك الفتيات كتبت شعراً تحكي فيه مأساتها وعنونته "هو هو يمي يو كايري" "أرجعوا لي بسمتي" تقول أسطر هذا الشعر.

قدر ظالم أحمله على ظهري مثل الصليب. حياة منعزلة أعيشها، بسمة شابة لي تلاشت. كم أشتاق لها متى تعود لي؟ في الوقت الحاضر هؤلاء النسوة يقصصن تجربتهن ويدعون للسلام لتخطّي أوجاعهن وآلامهن.

بعد الانفجار النووي بحوالي أربع سنوات تلقيت العمادة الكاثوليكية، وبفضل استمرار دعائي وصلاتي للأموات وللسلام توصلت أخيراً للسلام الروحي. ومن هنا، من مكان كل من قضى بسبب هذه القنبلة الوحيدة، أشعر مجدداً بضرورة إرسال هذه الصرخة للعالم كله "لا للحرب النووية".

وللأسف يبذل العالم كله جهده للاهتمام بتجهيز الاسلحة النووية بل ويتسابق في تصنيعها. هذه الاسلحة الجديدة إذا قيست بالقنبلة التي ألقيت على هيروشيما فإن قدرتها على الابادة تتضاعف أكثر من مليون ضعف دماراً وخراباً وقتلاً. أنا، وبما أنني الشهيدة الحية لهذه القنبلة الوحيدة، كان علي أن أصرخ في وجه العالم كله للمحافظة على الانسانية.

ماذا حدث في هيروشيما يوم 6 آب 1945؟ ومتى يتحمل الناس مسؤولياتهم؟ إذا عادوا وأشعلوا نار الحرب من جديد وخصوصاً الحرب النووية فإذن على الدنيا السلام، العالم كله سيتدمّر ويتفجر وسيختفي ولن ينجو أحد. إذن ماذا تنتظرون؟ يا أهل الحرب، يا مصممي الحرب، ويا مخترعي الحرب، الحرب تبيد كل شيىء. بينما السلام يعمّر ويعيد الحياة وإعمار ما دمرته الحرب. في الحرب تتحول الصداقة الى عداوة وتختفي الثقة بين الناس.

ولكن من خلال ضعفنا ومن خلال صلواتنا لاجل البشرية والتماسك بالجماعة والاتفاق نستطيع المساعدة لنجد السلام. كما وأن علينا الصلاة دائماً لاجل بقاء السلام واستمراره وعلى كل واحد منا أن يتخيل ويعمل على فكرة لاجل السلام، كما وأنني أريد أن أختتم هذه الرسالة وهذه الذكريات بهذه الاغنية التي توصي بأن الحرب النووية يجب أن تختفي الى النهاية.

وطننا إشتعل - في الارض الكلسية وارينا
عظام الاحباب - والآن نبتت ورود بيضاء
وأزهرت مكان العظام

قنبلتين نوويتين سقطتا ودمرتا، وعلينا أن نقف ونمنع وقوع الثالثة على أرضنا وعلى العالم أجمع.

قصة السيدة هاتوري والدة الآب دايسوكي بتروس هاتوري - من كنيسة فوكوياما.

تمت الترجمة إلى العربية في
بيروت، 21/يونيو (حزيران)/2007
السيدة رفاه حمود شاهين

The text (French version) was translated into Arabic by Ms Rafah Hammoud Chahine (Beirut, Lebanon) in June 2007.